

٢- رسائل التعليقات للرصافي

للأستاذ دريني خشبة

أشرنا في العدد السابق إلى بعض آراء الرصافي القديمة ، مما له علاقة بأرائه الحديثة التي طلع بها على الناس فجاء تعليقا على كتابي الدكتور زكي مبارك : التصوف الإسلامي والنثر الفني ... وإلى القراء الآن بعض هذه الآراء :

١ - يؤمن الرصافي بوحدة الوجود ، وأن لا إله إلا هذا العالم الأعظم الكلي ، وأن قولنا لا إله إلا الله لا معنى لها (أنظر العدد السابق) ، وخبر أن يقال لا إله إلا الوجود ... « إن البحث والتفكير قد أُلجأت إلى الجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١١) » وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائي (ص ١٣) - وقد فسر الظاهر والباطن في سورة الحديد بأن « الظاهر الذي نراه بأعيننا وندرکه بمواسنا ، والباطن الذي لا نراه ولا ندرکه » (ص ١٣) . ويدعي أن كل شيء في هذا العالم جزء من الله ، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلي ، كظواهر الأمواج لماء البحر المائج (ص ١٥) » . ولا يصح لأحد أن يقول أنا الله ، كما قال الحلاج ، لأنه جزء من كل ، وإلا كفر (ص ١٦)

٢ - ويؤمن بأن محمداً ، بما أوتي من الكمال النفسي ، والفكر القديسي هو سيد المارفين بهذه الحقيقة (ص ١٤) ، وإن يكن قد أخفاها عن أصحابه ، ولم يلجح بها إلا لأبي بكر : « ولا نعلم أحداً كان يقول بها (بوحدة الوجود) من أصحاب رسول الله اللهم إلا أبا بكر ... فلا يبعد أن يكون قد أخذ عنه هذه الفكرة بالتلقين ، أو يكون قد عرفها من القرآن بالتدبر والتفكير (ص ٤٨) » ، « وآخر ما نقوله في هذا إنه لم يكن في زمن البعثة من يمثل فكرة وحدة الوجود سوى رسول الله ، وأصدق الظن يجيز أن يجمل أبا بكر من عارفيها ، كما صحت الإشارة إليه (ص ٧٢) »

٣ - ولا يترف بأن القرآن هو كلام الله ، ولكنه كلام محمد ، فإذا ذكر شيئاً من القرآن قال : يقول محمد في القرآن ، (ص ١٣) ، ولكنه يعتذر لمحمد بأنه كان يفني في الله - أو في

الوجود الكلي - فناء كاملاً ، ولذا جازله أن يقول هذا القرآن وزعم أنه يقول الذي يقوله الله ، ويفعل الشيء ويؤمن بأن الله هو الذي يفعل (ص ١٤)

٤ - ويعتقد أن كل ما يقع في العالم إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإفلات منها (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً) - ويؤمن بالجبر « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها » (ص ٢٣) والإنسان دابة ، وأخذه بناصيته ، أي جملة تحت قهره وسلطانه واستيلاؤه عليه (ص ٢٤)

٥ - وهو لهذا ينكر الأدعية (والصلاة من الأدعية طيباً) ، لأنها لا يمكن أن تغير شيئاً مما لا بد من وقوعه : « ... لأن الدعاء لا يضح في المقول أن يكون سبباً لهلاك الظالم ، أو لشفاء المريض ، أو لقضاء حاجة المحتاج ، فإن ذلك خرجاً عن سنة الله . فإن قلت : فإمعني الاستجابة التي وردت في القرآن « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » قلت : إن الاستجابة تكون بمعنى أن الله (تعالی) يهيئ أسباب هلاك الظالم ، وشفاء المريض على وجه موافق لسنة الله ، تهيئة غير مسببة عن الدعاء ولا مترتبة عليه ... الخ (ص ٧٦) وأن هذه الآية واردة مورد التمثيل الذي هو كثير في القرآن (ص ٧٧) ويستدل على أنه لا معنى للدعاء بالحديث « إن الله لا يعجل لمجلة أحدكم » فعبارة هذا الحديث (وحديث غيره) تدل بصراحة ووضوح على أنه لا معنى للدعاء ولا للاستجابة على الوجه الذي يقولونه ويتصورونه (ص ٧٨) . وإنما فائدة الدعاء هي في التسلية لنفس الداعي عما أصابه ، والتنغيس لسكره ... الخ ص ٧٨

٦ - وينزل الرصافي من هذا إلى ما ينزل إلى إليه بعض المتصوفة من القول بأن الأدعية (ومنها الصلاة) « هي من الأمور التابعة لظاهر الشريعة ، فهي لمامة الناس دون خاصتهم من المارفين (ص ٨٢ - ٨٣) »

٧ - وهو يؤمن بأن كل ما يقع في الوجود فهو حق ، وأن الباطل هو المحال . وهو في ذلك يأخذ برأي عبي الدين بن عربي ... « كل ما وقع في هذه الكائنات فهو حق ، إذ لو كان باطلاً لما وقع ، وإذا كان كل ما وقع في هذه الكائنات حقاً ، تساوت التضادات بحكم الضرورة ، فالضلال كالحدى ، والحسين كالطاعة ، والتقوى كالفسق والفجور ، والشر كالخير ، والحسن كالقبح ... الخ (ص ٢٣) ويؤيد هذا بالآية الكريمة : « ربنا

إلا بالإيمان في جميع الأديان ، وليس الدين إلا إيماناً بالغيب ، كما جاء في القرآن « يؤمنون بالغيب » ، فالإيمان بالغيب هو أساس الأديان كلها (١) (ص ٣٦)

« وكما يشكر الرصافي البعث على الصورة التي تؤمن بها ، فكذلك ينكر الثواب والعقاب ، ما دام الله - أو الكون الكلي - هو الأخذ بناصية كل شيء ، وما دام كل ما يقع في الوجود إنما يقع حسب قوانين لا يمكن الإملاء منها (الجبر المطلق) وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى للثواب والعقاب ، بل لا معنى ليوم القيامة إلا أنه يعترف بفائدة الإيمان بهذا كله كما قدمنا - وهذه مسألة أخرى - ومع أنه يؤمن بالجبر ، يؤمن بأن الإنسان مكاف لأنه عاقل « وحيثما كان التكليف كان الثواب والعقاب ٢٢ ص ٣٩ إلا أنه يحمل الثواب بعد الموت بالاندماج في الوجود الكلي » ويحمل العقاب بالألم أو الندم الذي يحيق بالسيء في الدنيا ، فإذا مات السيء وتساوى هو والحسن في الاندماج بالوجود الكلي ، وهو في ذلك يؤمن بما وسوس به الجيلائي ... « لأن تساوى الطائع والعاصي عند الله لا يكون إلا بعد الرجوع إلى الله أي بعد الاندماج في الوجود الكلي المطلق ، فهناك لم يبق للطاعة ولا للعصيان أثر ما II » ص ٣٢ - ٣٣

وبعد فهذا بعض ما في ذلك الكتاب وموعدهما السدد القادم إن شاء الله
دميني خيبة

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بمجلس بور سعيد
البلدي حتى ظهر يوم ١٥ يونية سنة
١٩٤٤ عن توريد ٣٥٥ أرديا من
الشعير (لا ٢٥٥ كما ذكر خطأ بالعدد
السابق) ويجب أن ترفق العطاءات
بتأمين ابتدائي قدره ٢٪ من قيمتها
وتطلب الشروط من المجلس المذكور
على ورقة دمنه فئة ٣٠ مليا

٢٢٦٢

ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانه ، فقنا هذاب النار »

٨ - وما دامت قد استوت التضادات في نظره : « ... فعلى الصوفي أن يأخذ نصيبه من الدنيا كما يشاء ، وأن يفرع جبهته بالكأس الروية من لدائها بقدر ما يستطيع ا (ص ٨٣) كيف لا ، وهو الذي خلق كل نفس فألمها فجورها وتقواها ، وهو الذي إلى نجدتها من الخير والشر هداها ا (ص ٨٦)

٩ - والتصوف عنده « ليس زهداً وعبادة ، وإنما هو فكرة ونزاهة ، يتساوى فيه الترهيب والخلاعة ، ويتلاقى فيه الثرمت والدعارة ، لأن الله في مذهب وحدة الوجود يعرف بكل ما في الكون ، وأن كل ما في هذا الكون حق عند أهل وحدة الوجود ، فلا أدل عليه من آثاره ، ولا أهدي إليه من ساطع أنواره ، وليس وضع الرجل جبهته على الأرض ساجداً لله ، بأدل على الله من انكبابه على حليته (بحروفه من ص ٨٥) . وأكثر من هذا ، إذا رأى الصوفي في أي نوع من لذات الدنيا وشهواتها ما يفتح له باباً من أبواب المعرفة لم يتأخر أن يطرق بابها ، ويفك عيائها ، ويلبس ثيابها ... كيف لا وقد استوت عنده التضادات ، واجتمعت اللذات بالذلات ، وإنما الأعمال بالنيات ؟ وكيف يذمومون الدنيا وقد أودع الله فيها في الثرائز ، وساوى في محبتها بين الشواب والمعجائز . (بحروفه وثمة أشد منه ص ٨٤)

١٠ - وهو يكفر بالبعث ، وربما آمن بالتناسخ - أو عودة الكائنات بأمثالها لا بأعيانها - ولكنه مع ذلك يعترف بفائدة الإيمان بالبعث ، وما بتصوره المؤمن من الحساب ، فيمتنع عن الشرور ويقبل على الطبرات . « والذي أراه (في البعث أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان ، وأن ليس للمقل فيه مجال ، ولا يخفى أن الإيمان بالغيب يتسع لا كبر منه وأبعد ، ولم تقم لنا عليه في الحجج الدينية حجة أعظم من قياسه على النشأة الأولى ، ولا يخفى أنه قياس مع الفارق بعيد جداً ، لأن النشأة الأولى إنما وقعت على وجه من أسباب النشوء موافق لسنة الله في خلقه ، وليس كذلك النشأة الأخرى . نعم نحن في عالم الكون والفساد ومن الممكن عقلاً أن تمود الأشياء الفاسدة أو المهالكة في هذا العالم إلى كونها الأول ، ولكن بأمثالها لا بأعيانها ، فإن عودتها بأعيانها مستحيل ، ومن البعث إقامة الأدلة العقلية على أمور لا تقوم إلا بالإيمان في جميع الأديان ، وليس الدين